# السوسيولوجيا الإستعمارية في الجزائر ومخلفاتها

الإسم :عزيزة
اللقب:خلفاوي
الوظيفة :أستاذة بقسم علم الإجتماع جامعة قسنطينة -02-
الرتبة :محاضرة .
البريد الإلكتروني :
.comazizakh.socio@gmail
الهاتف :(213)0670132009

**الملخص :**

عمل الاستدمار الفرنسي بكل الطرق و الوسائل على طمس الهوية الجزائرية كمدخل لإحكام السيطرة على الشعب الجزائري بعدما استنفدت قواه في بدايات الاحتلال عام 1830 ، و صدم بالمواجهات و المقاومات العنيفة من الاهالي ، فلم يجد سلاحا فعالا في تلك الفترة إلا العلم الذي استغل بطرق خبيثة ،منها التزوير و التزييف للحقائق لتفتيت البنى و الروابط الاجتماعية للشعب الجزائري ، و من بين العلوم التي استغلت لتحقيق هذا الهدف نجد الممارسة السوسيولوجية ،و يأتي مقالي هذا لتوضيح الكيفية التي استغل بها هذا العلم، و مخلفات ذلك على السوسيولوجيا الجزائرية بعد الاستقلال.

**مقدمة :**

بدأت السوسيولوجيا الإستدمارية الفرنسية في الجزائر في ممارسة مهامها عام 1833، و كانت أهدافها مرتبطة بأهداف السياسة الإستدمارية الرامية إلى سلب الأمة الجزائرية هويتها و إحكام السيطرة عليها ،ولقد ارتبطت المسيرة السوسيولوجية في الجزائر بعد الاستقلال بالتراث السوسيولوجي الفرنسي الإستدماري، مقالنا هذا للكشف عن طبيعة هذه السوسيولوجيا و أهدافها و ممارساتها ، و ماهي مخلفاتها على السوسيولوجيا الجزائرية بعد الاستقلال .

**1-مفهوم السوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر :**

نقصد بالسوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر "**تلك الدراسات و الاعمال التي أجريت خلال المرحلة الاستعمارية و التي عملت على دراسة المجتمع الجزائري و التنقيب في بنياته الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية...و السوسيولوجيا الكولونيالية تنقسم إلى نوعين " رسمي " خطط له أصحابه من وزارة الحربية و كان هؤلاء الباحثون عبارة عن عساكر و مرتزقة جندوا لخدمة المشروع الكولونيالي ...بالنسبة للنوع الثاني يمكن تسميته بالسوسيولوجيا المحايدة neutre ذات النزعة الاكاديمية و الانسانية** " [1]

**2-تاريخ السوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر :**

بدأت السوسيولوجيا الاستعمارية تمارس مهامها في الجزائر عام 1833 ،و هو تاريخ تشكيل لجنة الاستكشاف العلمية للجزائر بإشراف وزارة الحرب الفرنسية .

لقد جاءت ضرورة تشكيل هذه اللجنة بعد المحاولات العديدة الفاشلة للاستيلاء على بعض المناطق عن طريق القوة العسكرية ،و كان يسود مخيلة الغازي الفرنسي للبلاد الجزائرية أنه في رحلة سياحية " **فالجزائر لا وجود لها إلا في مخيلة**

**الغازي و على نحو أكثر ابتذالا لا توجد إلا بوصفها قطرا تركيا جديرا بأن يستولى عليه ...ما كان يعرف عن هذه الأرض الواقعة في المغرب الأوسط تافه لا يعتد به ،فأولئك الذين استولوا عليها كانوا على جهل مطبق بخصمهم ..."**[2]
لكن ماذا وجدوا ؟"**لقد فرضت المقاومات المسلحة و محاولات الأمير عبد القادر لبناء دولة حقيقية و حركات المعارضة المتكررة و ضرورة الاستيلاء على فضاءات اكبر تغيير التصور او الرؤية ،فالجيش الاستعماري بحاجة إلى معرفة الذي يحارب و لهذا وطن نفسه على معرفة المناطق التي أبدت مقاومة شديدة معرفة جمة، حينئذ أخذت الدراسات الإثنوغرافية العسكرية في التطور و التنامي .وهي أمر استراتيجي** " [3]

قامت لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر بوضع دليل إحصائي حول الجزائر كافة اشتمل على 17مجلدا ، و قسمت الجزائر بمقتضى النتائج المتوصل إليها إلى ثلاث مقاطعات هي : الجزائر ،قسنطينة ،وهران ،و هو الأمر الذي يوضح بجلاء العلاقة الوطيدة بين علم الاجتماع و المصالح الاستعمارية .هكذا اقتنعت فرنسا أن القوة العسكرية وحدها غير قادرة على الاستيلاء على الجزائر و أنه خصم لا يستهان به؛ لذلك لابد من توظيف العلم لفهم قوة ترابط و تماسك أفراده "**بعد مرور عقد من الزمن على نزول الجيوش ، وبعد ان تم اختيار توسع عسكري بعينه ،أقدمت الحكومة على تحر واسع النطاق ، وقد تم جمع معطيات في قرابة أربعين مجلدا بين 1844 و 1867 ، و قد اضطلع العسكريون بنصيبهم في هذا التحري ، وكان على رأسهم كاريس و بوليسيي، و قد استدعيت التخصصات و العلوم كالتاريخ و الجغرافيا و العلوم الطبية و الفزيائية و الحفريات لكي توفر نظرة أمنية ما أمكن عن الآخر أي هذا العربي أو البربري بما أنهم ينكرون عليه أي تسمية أخرى** "[4]

أما مرحلة السوسيولوجيا الاستعمارية الرسمية في الجزائر فكانت سنة 1958و هذه الفترة مبهمة لا نعرف عنها الكثير كما يقول الباحث جمال معتوق فالفترة الممتدة ما بين 1958 ألى غاية 1963 هي من الحلقات المفقودة و التي لا

نعرف عنها الكثير خاصة من حيث الجانب الإداري المؤسساتي و يرجع ذلك إلى :[5]

1-المستعمر في هذه المرحلة كان شغله الشاغل جمع المادة السوسيولوجية و هذا خدمة للمشروع الكولونيالي ، و لم يهمه مثلا إعداد أرشيف خاص بهذه الممارسة ،كما يمكن القول بأنه في حالة وجود أرشيف حول فرع علم الاجتماع بجامعة الجزائر فإن المستعمر غداة الاستقلال عمل على إتلافه و نهبه و سرقته كما فعل مع باقي المصادر و الارشيف التاريخي للمجتمع الجزائري .

2- الطلبة الجزائريين –و المتمثلين في الجيل الأول للسوسيولوجيين – لم يقوموا بدورهم التاريخي و المتمثل في الكتابة حول المسيرة السوسيولوجية عندنا .

**3-أهداف السوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر :**

كما قلنا سابقا لقد ارتبط وجود السوسيولوجيا في الجزائر بوجود الاستدمار الفرنسي و من ثم "**يعتبر علم الإجتماع خلال المرحلة الكولونيالية علم سخر لخدمة الايديولوجية الكولونيالية و هذا على حساب الاهالي كونه لم يكن في هذه الفترة مطلب جزائري بل سلاحا في يد المستعمر و تقنية من بين تقنيات الكشف و التعرية لخبايا المجتمع الجزائري** " [6]

لقد فشلت المحاولات الاستدمارية في تفكيك مختلف الروابط التي جعلت من الجزائريين رجل واحد وقف كجدار صلب في وجه كبريات الدول الاستدمارية و القوى العظمى، فلم يجد بد من الوصول الى مبتغاه إلا العلم كمصدر للحكم و النفوذ ،و نكتشف هذا من خلال ما صرح به ريني موني R . Maunier في قوله "**إن لنا مصلحة نظرية و تطبيقية لنتعرف على حياة الشعوب الجزائرية ،نظرية أولا لأنه من حقنا و من واجبنا نحن الفرنسيين أن نعرف و نفهم جميع الشعوب التي نحميها و نذير شؤونها و لا نتوقف أبدا عن القيام بالواجب نحوها ...و لما في تنظيم الدراسات من غايات مادية و تطبيقية باعتبار أن العلم مصدر للنفوذ و الحكم** "[7]. بالرغم من الصيغة المنمقة التي تجلت بها هذه الاسطر إلا أن هذا الغطاء لم يستر كل ما اراده موني إن الايديولوجيا الاستعمارية

للسوسيولوجيا في الجزائر كانت واضحة كل الوضوح "**ذلك ان المستعمر قد حاول أن يعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية في الجزائر وفق تطور الرأسمالية الاوربية و تحقيقا لأغراضها ، و قد كان يملك الوسائل الكافية للقيام بهذه المهمة ،بما في ذلك المعرفة السوسيولوجية ، و قوة السلاح و مركز السلطة** " [8]."**و الامثلة كثيرة عن الخدمة النفيسة التي قدمتها السوسيولوجيا للمستعمر الفرنسي ،حيث نجدها قد اخترقت جميع الفئات الاجتماعية واستطاعت أن تتوصل إلى ما لم تقدر عليه الأسلحة ،هكذا فقد مدت المستعمر بمعلومات كان لن يصل إليها لو اعتمد على فقط على القوة . و هنا نذكر الخدمات التي قدمها كل من (fabar)، De) neuveu) (letourneaux et hnoteau )(Rinn) (daumas ) و غيرهم من الذين كانوا في الصفوف الاولى في المسيرة الكولونيالية** "[9]

**4-السوسيولوجيون الكولونياليون في الجزائر :**

إن الذين كتبوا عن المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية كثيرون جدا قسمهم الباحث الاستاذ الدكتور جمال معتوق إلى مايلي: [10]

**النوع الاول :**

و يضم الفضوليين و هم أناس لا علاقة لهم بعلم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية بشكل عام ،كانت الكتابة عندهم بمثابة تسلية أو تجنيدا أو تطوعا لخدمة المشروع الكولونيالي ومنهم أطباء ، سواح ،تجار ،أناس بدون أية حرفة و غيرهم .

**النوع الثاني :**

و يشمل العساكر (الجنود و الضباط )، و خاصة الضباط من الرتب العليا، و معظم كتاباتهم هي محاولة لتأكيد تفوق الغربي الفرنسي على الجزائري البربري المتخلف ،و يشكل هذا النوع أكبر عدد من الذين كتبوا حول مختلف المواضيع الإجتماعية ،الثقافية و الدينية في الجزائر و نصبوا انفسهم بالمختصين في المسألة الجزائرية . و ما يميز أغلب هذه الدراسات هو طغيان الذاتية و العنصرية ، ونسبة قليلة منها ترقى إلى مستوى البحث العلمي .

**النوع الثالث :**

و يمكن تقسيمه بدوره إلى ثلاث مجموعات :

أ-و تضم أصحاب الاتجاه الاكاديمي الذي كان مبتعدا عن علم الاجتماع الرسمي الكولونيالي و أقرب إلى الخطاب الاستشراقي ، و من بين هؤلاء نجد:

(jean dritz)شارل اندري جوليان (le cour) لوكور (ch. a.julien) جاك بيرك (j.berque) و غيرهم ، الذين جعلوا من الجزائر حقلا لدراساتهم الميدانية ، فأغلبيتهم قاموا بهذه الدراسات في إطار إعداد بعض الشهادات الجامعية كالدكتوراه .

**ب**- وتضم كل الباحثين السوسيولوجيين الذين كانت دراساتهم ذات إيديولوجية استعمارية ،هدفت بكل الوسائل و الطرق إلى تزييف الحقائق و نشر الاباطيل كما سنرى ذلك لاحقا .

**ج**-و تظم كل الباحثين السوسيولوجيين ذوي الابحاث العلمية الجادة عن الجزائر .

ويمكن أن نجمل كل من ساهم في الكتابة السوسيولوجية خلال الفترة الاستدمارية الفرنسية للجزائر في :

- جنود ، ضباط ، رجال آداب ، روائيون، رجال الدين ، فلسفة ،جغرافيون و غيرهم ،من التخصصات الأخرى ، طلبة و باحثون ،أطباء، بدون اي مهنة مجرد فضوليين ...إلخ .

## 5-نماذج من مواضيع السوسيولوجا الكولونيالية الفرنسية في الجزائر :

تناولت السوسيولوجيا الكولونيالية الفرنسية مواضيع مختلفة منها السياسية ،الاقتصادية ،الدينية ،القانونية ،الثقافية ،و سنحاول في هذه المداخلة عرض لبعض النماذج منها لنتعرف عن قرب كيف خدمت الايديولوجيا الكولونيالية .

**-دراسات حول الاسلام :**

شكل الدين الاسلامي محورا أساسيا في الدراسات السوسيولوجية الكولونيالية بالجزائر باعتباره أحد أهم مقومات المجتمع الجزائري وأحد اهم روابط أفراده

بعضهم ببعض، لذلك نال قسطا من البحث و التنقيب ؛حيث درست الزوايا ، و الاولياء الصالحين ،و المساجد ، و الفرق الدينية و غيرها .و من بين الدراسات حول الفرق الدينية نجد دراسة النقيب دونوفو ( le capiteain deneveu) بعنوان :

"**Le khouane ,ordre religieux chez le musulman d Algérie**

"و التي أنجزها عام 1845 و هدف من خلالها إلى جمع أكبر قسط من المعلومات حول الفرق الدينية من حيث:

-عدد رجالها ، عدد الخيول التي تكتسبها ، ميزانيتها، مساحة أراضيها،عدد ونوع الاسلحة التي تمتلكها ، الطابع التنظيمي السائد بداخلها و غيرها،حيث يقول في كتابه السابق الذكر :"**من خلال اهتمامنا بالتنظيمات الدينية التي تتقاسم فيما بينها سكان الجزائر ،كان هدفنا الكشف عن بعض الجمعيات التي يجب علينا أخذ الحذر منها ، لان كل جمعية قوة ، وبالنسبة للرجل الذي يريد و يعرف تسييرها فهي سلاح فتاك يستطلع تسخيرها في تحقيق مشاريعه** " [11]

و فعلا استغلت هذه الدراسة من طرف الادارة الاستعمارية الفرنسية حيث ساعدت على قطع الطريق أمام رجال الفرق الدينية و الحد من نشاطها .

من الدراسات في هذا المجال نجد أيضا دراسات Raymond Charles "**و الذي يعد قطبا من اقطاب المختصين في معرفة اسرار الشريعة الاسلامية و طوايا الفقه و خبايا المجتمعات العربية ، لأنه كتب بلا انقطاع مدة ثلاثين سنة و درس بالجامعات و نصب قاضيا بين الناس و مستشارا للحكومة الفرنسية** " [12]

و من بين اعماله " **الروح الاسلامية** " و هو من أخطر الاعمال التي استهدفت الاسلام ،حيث عمل من خلاله على نشر الأكاذيب و إلصاق كل أنواع التهم للإسلام ومن بين ماجاء فيه [13]:

أن الإسلام عامل تخلف للمسلمين وعامل تعطيل للتنمية الاقتصادية و التقدم الاجتماعي و الركود و الاستسلام لما كتب عليهم ،إذ رأى Raymond charle "**في الاسلام استسلاما جوهرا و مضمونا ، فأباح و سوغ كل التصرفات**

**الفرنسية من اغتصاب للأرض و سلب للحكم و إدماج في الامبراطورية ، لان الذنب في ذلك ليس ذنب السلطات الاستعمارية و إنما المسؤولية ملقاة على عاتق الاسلام كدين هيأ دهنيات المسلمين للإساءة إلى مواردهم الطبيعية ،و هي الدعاية نفسها التي ما تزال إلى يومنا هذا ترددها أبواق الدعاية الصهيونية و الغربية الخاضعة لها ..."** [14] كما تناول وضع الاسرة في المجتمعات المسلمة حيث قارن بين الاسرة في المجتمع المسلم و المجتمع الفرنسي ، هذا الاخير الذي يعتبر النموذج الذي يجب الاقتداء به ، حيث بين أن المرأة مجرد تابع للهيمنة الذكورية ، كما أنها مهضومة الحق في الحصول على الميراث حيث يقول :"**إن خضوع المرأة لزوجها كان الأصل في قانوننا القديم و النصوص التي اتخذتها الثورة الفرنسية انفردت بسن المساواة القانونية المطلقة فعدلتها المجلة المدنية التي حددت حقوق الزوجة تم عادت المرأة شيئا فشيئا إلى اكتساب هذه الحقوق بفضل القوانين اللاحقة و هكذا لم تكتسب المرأة المساواة إلا بعناء ...أما المحتوى الهيكلي لمؤسسة الزواج الاسلامي فإنها بقيت في وضعها العتيق الذي يباين مصالح القوانين ، فالمرأة لا تدخل في أسرة زوجها و ليس هناك شيوع في الاموال ...و الحق أن سيطرة رئيس الاسرة و سيطرة الذكور المطلقة تغطي هذا التباين المزعوم و تجعله وهميا للغاية من حيث مفعوله المادي ، فالسيد و المولى أنيطت بهما مسؤولية الدفاع عن النظام الداخلي و الخارجي للأسرة بل على كامل المجموعة القبلية فهما مؤهلان للاستئثار بأوسع نفوذ ممكن أضف إلى ذلك أن اقتصاد العشيرة المطلق يسوغ هذه الاساليب التعسفية التي تذهب النساء عادة ضحية لها بسبب حرمانهن من الميراث** " [15]

**-دراسات حول المرأة :**

شكل موضوع المرأة الجزائرية محور اهتمام الكثير من الباحثين السوسيولوجيين الكولونياليين وكان مدخلا جوهريا لتغطية الحقائق و الوقائع لتفتيت المجتمع الجزائري و ووحدته الاجتماعية خدمة للإديولوجيا الكولونيالية الفرنسية ، و من الحقائق المزيفة أن المرأة تابعة و دونية ،و في حالة تشبه الرقيق

بالنسبة للرجل، و أنها أول عامل من عوامل تخلف المجتمع الجزائري؛ حيث يقول فيليب لوكا و جون كلود فاتان في هذا الصدد:"**و قد كان أول مجال وجه إليه الاتهام هو العالم النسوي و من خلاله النظام الاجتماعي برمته... إن جل المؤلفات العامة إن قليلا أو كثيرا تحتوي على قسم يعالج هذه المسألة ،بيد أن الذي يسترعي الانتباه بين كتيب ج،ب،بونافون و الثلاث مئة صفحة التي دونتها ماري بوجيجا ، ليس هو سمك المنشورات و لا جنس مؤلفيها و لا الفارق الزمني المقدر بنصف قرن ، بل التغير الحاصل في التصور ، فالأول قد قدم المرأة الباحثة عن الخلاص من منزلة الشئ التي زجت فيها من الخارج و أطلق أحكاما ملؤها السخرية ، في حين أن الثانية ،فسعت إلى وصف عالم النساء من خلال وجهات نظر هذه النساء أنفسهن ، و يوجد بين الاثنين جدل قائم بالذات ، أما ارنست ميرسيي فقد أخلط بين وضع المرأة في الواقع و في القانون مع الاشارة إلى البطلات اللائي أنتجهن التاريخ ، كما قارن باربي بين منزلة المرأة في البلدان العربية و في بلاد القبائل ، ...في حين تم ذلك للكاتب فيرديناند ديشان في ثماني صفحات لما هم بالكتابة عن المرأة المسلمة في شمال أفريقيا ، و عالج لويس ميبو المسألة من وجهة نظر القانون ، أما الجنرال دونا ، الكاتب المكثر فقد قام بجرد لحظات ووجوه الحياة النسوية ، كما تحدث آخرون عن المرأة العربية في الاسلام و الحياة اليومية و في الحفلات و الاعياد ، فكلهم أو جلهم لم يبرحوا المظاهر و تقاسموا إن قليلا أو كثيرا نفس الرأي :المرأة تابعة و دونية و في حالة تشبه الرقيق بالنسبة للرجل** " [16]

و يضيف الباحث جمال معتوق جملة من الدراسات الكولونيالية التي تناولت نفس الموضوع لتحقيق نفس الهدف على سبيل المثال[17] :

-Hacoun- Compredon ,Etude sur L'évolution des coutumes kabyles spècialement en ce qui concerne L Exhérédation des Femme et la pratique du Habous ,Alger1921 .

-Goichon a.M ; la vie fèminine au Mzab, étude de sociologie , prèface de Wiliam Maçais ,Gauthier , paris, 1927.

-Gaudry(M) , La femme Chaouia de L Aurès. Etud de sociologie berbère ,Alger.1929.

-Roger Letourneau, L'évolution de la famille musulmane en Afrique du Nord, 1938.

-Lefevre(L) ,recherche sur la condition de la femme kabyle (la coutume et loeuvre française ) alger1939.

-Servire (J) ,Chants des femmes de L Aurès ,paris 1955.

و الملاحظات التي يمكن استخلاصها فيما يخص هذا الموضوع هي :

-أغلبية الدراسات التي تناولت موضوع المرأة أراد أصحابها إظهار الفروق الموجودة بين المرأة العربية و المرأة البربرية ،و بالتالي تندرج أعمالهم ضمن الثنائية العربي –البربري.

- حاولوا من خلال هذه الأعمال التطرق إلى ما سموه تفوق المرأة القبائلية (البربرية ) في مجالات الحياة مقارنة مع المرأة العربية .

- تناولوا المرأة و ذلك قصد إظهار أو تفسير الوضع المتدني الذي توجد عليه ، و ربطه بالعادات و التقاليد و خاصة إلصاق التهم بالدين الاسلامي و جعله السبب في ما هي عليه ، إذ كل هذه الدراسات تقول أن المرأة في الجزائر قاصرة بسبب الدين الاسلامي .

-أغلبية الصور التي قدمتها هذه الاعمال حول المرأة تصب فيما يمكن وصفه بدونية المرأة ،أو المخلوق السلبي في مجتمع رجولي .
-هناك دراسات حاول أصحابها من ورائها إلصاق التهم و الشبهات بالمرأة الجزائرية عامة و البربرية خاصة ،مثل الدعارة و الاخلاق الرذيلة .

بالإضافة إلى هذين الموضوعين هناك مواضيع عديدة أخرى كانت مداخل حساسة و أدوات فعالة لكشف خبايا المجتمع الجزائري من جهة ، و من جهة اخرى لنشر الأباطيل و تزييف الحقائق ، و استخدام هذه الحقائق لإحكام السيطرة والفوز في المعارك ؛اي خدمة للأيديولووجا الإستعمارية .

**5-مخلفات السوسيولوجيا الاستعمارية في الجزائر :**

هناك آثار سلبية كثيرة ونظرا لضيق المجال لذكر العديد منها سنذكر فقط نقطتين أساسيتين هما :

**أ-سيادة النظرية الغربية في تدريس علم الاجتماع :** بالرغم من حصول الجزائر على الاستقلال إلا أن نظامها التعليمي بقي مرتبطا ارتباطا وثيقا و لفترة طويلة (1962إلى 1971) بالجامعة الفرنسية " **وفي داخل الجامعة الجزائرية خلال هذه المرحلة ،ظل التوجه الفرانكوفوني للخطاب السوسيولوجي قائما حتى عام 1971، وهو توجه كرس لهذا الخطاب كعلم كتبي يعني بالتنظير الذي يفتقر إلى الدراسات الميدانية الواقعية ، و يصب جل اهتمامه على دراسة أعمال المدرسة الدوركايمية غالبا ، ويكاد يقتصر على النقل دون التأصيل ، و على التحصيل دون التحليل**" [18]."**و رغم انتصار الثورة الجزائرية ، ظلت المقررات الفرنسية في السوسيولوجيا تعالج آنذاك مشكلة الاستعمار على أنها مسألة إنسانية ، و على أنها من وسائل نشر الحضارة البشرية و هو ما عبر عنه ارمان كوفيليه ( Armand cuvillier )الذي مثلت مؤلفاته احد مصادر هذه المقررات الاساسية**" [19] و السبب يرجع إلى قلة الاساتذة الجزائريين حيث بقي فرع علم الاجتماع يدار من طرف أساتذة أجانب يقول الباحث جمال معتوق في هذا الصدد

"...**كان علم الاجتماع خلال كل هذه المدة علما غربيا من حيث المحتوى و المؤطرين ،كان يدرس باللغة الفرنسية و يدار فرع علم الاجتماع من طرف أساتذة أجانب** "[20].

لقد كرست هذه الفترة الطويلة روح النظريات الغربية عموما و الفرنسية خصوصا لدى الجيل الاول لطلبة علم الاجتماع في الجزائر ،و هذا أثر كثيرا على المراحل اللاحقة لمسيرة علم الاجتماع في الجزائر؛ حيث نجد إلى يومنا هذا أساتذة يدافعون عن أفكار المدرسة الفرنسية، و يدرسونها لطلبتهم دون نقد أو تجديد بما يتلاءم مع واقع المجتمع الجزائري .

ب-**الصراع الايديولوجي في الممارسة السوسيولوجية إلى يومنا هذا :**

تعتبر الفترة الممتدة ما بين 1971 و 1984 مرحلة مميزة بالنسبة للدولة الجزائرية عموما و مسيرة علم الاجتماع خصوصا ؛ حيث بدأت الجزائر تستعيد هيبتها و مقوماتها و بعدها الحضاري و محاربة كل ما هو موروث استعماري حيث أحدثت إصلاحات على النظام التربوي ، و طبقت عملية التعريب لكافة العلوم الاجتماعية و علم الاجتماع خصوصا سنة 1980 ،و جند علم الاجتماع و المشتغلين به للدفاع عن الايديولوجيا الاشتراكية و هي ايديولوجية الحزب الحاكم إذ يقول عنصر العياشي في هذا الصدد :"**تميزت هذه الفترة بهيمنة خطاب ايديولوجي شعبوي** " [21] "**و عليه فقد نجد أن علم الاجتماع تحول من علم أكاديمي –علمي إلى علم إيديولوجي أي أداة لضمان و بقاء استمرارية النظام القائم و انقسمت الساحة السوسيولوجية فأصبح هناك علم اجتماع ثوري تقدمي و هو العلم المتشبع بالايديولوجيا الماركسية ،ذات التوجه الاشتراكي ،و سمي كل الذين وقفوا في طريق المد الماركسي و أخذوا عن المعسكر الرأسمالي تكوينهم السوسيولوجي و مقارباتهم النظرية من السوسيولوجيا الرأسمالية بالرجعيين و البرجوازيين ، و هذا التقسيم داخل الحقل السوسيولوجي عندنا كانت و لا تزال له آثار و انعكاسات جد سلبية على المسيرة السوسيولوجية** " [22]و بعد تاريخ 1984 و انهيار الايديولوجيا الاشتراكية عالميا أثر ذلك مباشرة

على علم الاجتماع "**في متابعة تنفيذ البحث إلى ما يشبه الشلل التام في مواصلته نتيجة الشك في جدوى و قيمة النظرية الماركسية و أدواتها المعرفية و المنهجية**"[23] و هذا ما أدى إلى تعبيد الطريق و فتح المجال أمام السوسيولوجيين المناصرين للنظريات الغربية عموما و الفرنسية خصوصا للبروز مجددا خاصة بعد العشرية السوداء التي مر بها المجتمع الجزائري و بقي الصراع قائما لحد الآن ،و هذا ما ساهم بقسط كبير في الازمة التي يعانيها علم الاجتماع في الجزائر اليوم و تقول الباحثة جهينة سلطان الدكتوراه في هذا الصدد " **تعتبر الذات السوسيولوجية العربية الاسلامية مستهلكة للمعرفة السوسيولوجية الغربية لفهم الواقع العربي ، فإذا كان علماء الاجتماع الغربيين قد شهدوا أزمتهم الخاصة التي اخذت اشكالا فكرية مخالفة بدأت في نقد المسلمات النظرية الكلاسيكية وصولا إلى اليسار الجديد الذي يعبر عن رفض الرفض وصولا إلى إبراز الطابع الانساني الفينومينولوجي و الأنتربولوجي فإن علماء الاجتماع العرب قد واجهوا أزمة مزدوجة افتقاد النظرية الاجتماعية للتماسك و الاتساق من ناحية ، و اغترابها عن الواقع العربي من ناحية أخرى** "[24].

**الخاتمة :**

من خلال ما تم عرضه نستنتج أن قسطا كبيرا من الازمة الحادة التي يعيشها علم الاجتماع في الجزائر اليوم يرجع إلى الجذور التاريخية للممارسة السوسيولوجية في الجزائر ، و خاصة الممارسة السوسيولوجية الكولونيالية الفرنسية و ما خلفته من حقائق مزيفة ،و أحفادا مدافعين عن نظرياتها ،عرقلوا بذلك المسيرة السوسيولوجية الجزائرية، التي تنطلق من واقع المجتمع، و فلسفته ،وقيمه ، في معالجة ظواهره .

**قائمة المراجع :**


1- جمال معتوق :علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا ،ط1 ،دون دار نشر ،س 2006 ،ص 33.

2-فيليب لوكا و جون كلود فاتان : جزائر الانتروبولوجيين نقد السوسيولوجيا الكولونيالية، ترجمة :محمد يحياتين وبشير بولفراق و وردة لبنان ، منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال، ص7.

3-نفس المرجع ، ص7.

4-نفس المرجع ، ص9.

5جمال معتوق:المرجع السابق ، ص79.

6جمال معتوق : مقال ص81

**7**محمد نجيب بوطالب :صورة العربي الاخر ناظر و منظور إليه ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، ط 1،1990 ،ص438 .

8-محمد حافظ دياب :علم الاجتماع في الجزائر الهوية و السؤال، مجلة المستقبل العربي، العدد134 ،بيروت ،لبنان ،1990، ص86.

9-جمال معتوق: مرجع سابق ،ص 37.

10-جمال معتوق:نفس المرجع ، ص35.

11-جمال معتوق : واقع و آفاق علم الاجتماع في المغرب العربي ،عمل غير منشور ،أطروحة دكتوراه دولة ، قسم علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1999-2000، ص 81.
12-عبد الوهاب بوحديبة : لافهم : نصوص عن المجتمع و الدين ، الجدار التونسية للنشر ، 1992،ص 109.
13جمال معتوق :علم الاجتماع في الجزائر ، مرجع سابق ،ص ص57-58 .
14-عبد الوهاب بوحديبة :مرجع سابق ،ص 134 .
15-جمال معتوق :علم الاجتماع في الجزائر ، مرجع سابق ،ص 58-59 .
16- فيليب لوكا و جون كلود فاتان: مرجع سابق ، ص .
17-جمال معتوق :علم الاجتماع في الجزائر ،مرجع سابق ،ص ص 66- 67.
18-محمد حافظ دياب :مرجع سابق ،ص96.
19-محمد حافظ دياب : نفس المرجع ،ص 97.
20-جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزائر ،مرجع سابق ،ص93.
21-جمال معتوق: مسيرة علم الاجتماع في الجزائر:من النشأة إلى النكبة ، المجلةالجزائرية للدراسات السوسيولوجية ،جيجل ، العددالتجريبي،جوان 2005، ص77.
22-جمال معتوق :علم الاجتماع في الجزائر : مرجع سابق ، ص90.
23-محمد خالد في : أحمد عماد الدين خواني :إبستيمولوجيا النظرية السوسيولوجية ،رسالة دكتوراه علوم غير منشورة ، جامعة قسنطينة 2،س 2012-2013 ، ص234.
24-جهينة سلطان العيسي و الحسيني السيد ، علم الاجتماع و الواقع العربي ، دراسة لتصورات علماء الاجتماع العرب ،مجلة المستقبل العربي ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ،1982، العدد7،ص31.